

يدّعي بعض الطاعنين أنّ منهج المحدثين في نقد الرواة قد تأثر بالسلطة السياسية؛ فيوثّق المحدثون الراوي الذي يوافق توجّه السلطة، ويجرّحون غيره، وكذا انتقاء الأسانيد قد خضع للتأثر بالسلطة السياسية؛ فقبلت الأسانيد ورُدّت بناءً على الانتماء السّياسي، كما في الأثر المشهور عن ابن سيرين: «لم يكونوا يسألون عن الإسناد...»^(١).

الرّد على هذه الشُّبهة من وجوه:

١. أنّ هذا الكلام مخالفٌ لواقع النُّقاد؛ فلو كانوا متأثرين بالسلطة السياسية في نقدهم لكان واقعهم القرب من تلك السلطة والتّزلف لها، والواقع خلاف هذا.

فابن سيرين - مثلاً - كان يتشدّد في مجرّد الدخول على السلطان، ولم يقبل مرويات بعض الرواة الذين دخلوا في شيء من أعمال السلطان، وكذا غيره من كبار أئمة النقد؛ كمالكٍ وأحمد وغيرهما.

ومن أئمة النّقد من اعتزل السلطة السياسية؛ كالثوري والبخاري.

ومنهم من كان ينكر على السلطان؛ كابن عينة والأوزاعي.

ومنهم من رفض عطايا السلطان ومناصبه؛ كالليث بن سعد وغيره.

٢. لو كان المحدثون يوثّقون الراوي الذي يوافق توجّه السلطة؛ فمن البدهي أن يوثّقوا السلاطين والأمراء، والواقع خلاف هذا أيضًا؛ فقد جرح المحدثون جماعةً من الأمراء وقدحوا فيهم؛ كالحجاج بن يوسف الثقفي، وخالد بن عبد الله القسري، وغيرهما.

٣. لو صحّت هذه الدّعوى لجرح المحدثون خصوم السلطة ولم يوثّقوهم، والواقع أنّ النُّقاد قد وثّقوا جماعةً من الرواة المناوئين للسلطة في زمانهم؛ كتوثيقهم بعض الخوارج والشّيعه وغيرهم.



(١) انظر: المحدثون والسياسة (٣٧١-٣٨٨).